

المواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها 1931 - 1939

إعداد الطالب : حشلاف علي
معهد الإعلام والاتصال

إن هذه الدراسة المعنونة بالمواقف السياسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال صحفها (1931 - 1939) ، والمعدة لنيل شهادة الماجستير في علوم الإعلام والاتصال والتي تتضمن 257 صفحة مقسمة الى المحاور التالية :

- المقدمة
- الفصل الأول
- الفصل الثاني
- الفصل الثالث
- الخاتمة
- الملاحق
- قائمة المراجع
- الفهرس

أ - المقدمة وقد تم فيها طرح الإشكالية والإطار المنهجي للبحث من خلال تعرضنا للنقاط التالية :

1 - طرح الإشكالية :

شهدت فترة الثلاثينات تطوراً ملحوظاً في الحياة السياسية والثقافية للجزائر حيث ظهرت عدة جمعيات ومنظمات تطالب بتحسين أوضاع الأهالي ، فاصدرت الصحف ودخلت في مواجهات مع الكولون والادارة الاستعمارية التي كانت تقف في وجه كل شخص يحاول أن يستنهض الهمم ويوعي الشعب الجزائري ويذكره بتاريخه وبطولات أسلافه حتى تتمكن من

فرض هيمنتها وتستمر في إستغلال الأهالي والأراضي الجزائرية بكل ما تحويه من خيرات ، لكن رغم تعسف الادارة الاستعمارية وتسلبها فإن النخبة الواعية من الجزائريين تمكنت بفضل الأحزاب والجمعيات التي أسستها داخل وخارج الوطن من تحريك الشعب الجزائري ليعبر عن مطالبه ويحتج عن أوضاعه السيئة ، فقد ظهر مصالي الحاج نجم الشمال الافريقي في فرنسا الذي ضم عمال المغرب العربي في البداية ، ثم انفصل المغاربة والتونسيين عنه ليصبح يضم الجزائريين فقط ، وكان من أهم مطالبه الاستقلال التام للجزائر عن فرنسا وبعد حله أسس مصالي الحاج حزب الشعب في سنة 1937 داخل الوطن وتبنى نفس مطالب النجم ، وأسس النواب الجزائريين فيدرالية نواب مسلمي الجزائر بقيادة ابن التهامي في 1927 ، وعرفت هذه الفيدرالية بتأكيدها المطلق لفرنسا ومطالبها الاندماجية ومن أبرز قادتها «الصيدلي عباس فرحات» والدكتور ابن جلول .

أما الشيوعيون الجزائريون فقد انضموا الى فرع الحزب الشيوعي الذي كان موجود في الجزائر وعرفوا بمواقفهم المدافعة عن الطبقات المحرومة ومحاربة البورجوازية الفرنسية ، كما أسس رجال الطرق والزوايا جمعية علماء السنة في 1933 التي عرفت بموالاتها للادارة الاستعمارية ووقوفها في وجه العلماء بقيادة عبد الحميد بن باديس .

في هذه الظروف اتحد العلماء وأسسوا جمعية علماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 وجعلوا من أهدافها احياء السنة ومحاربة البدع وتنقية الإسلام من الخرافات التي ألحقت به ، ولقد تركت الجمعية تراث ثقافي كبير ، بحيث انشأت المدارس الحرة لتعليم الأطفال ونشر اللغة العربية وأحييت السنة الصحيحة وظهّرت الدين من الخرافات ، وإذا كان المؤرخون يقدرّون الدور الثقافي لهذه الجمعية ويعترفون بمجهودها في هذا الميدان فان العمل السياسي لها يبقى محل اختلاف بين المؤرخين وحتى المعاصرين حيث انقسموا الى ثلاثة إتجاهات :

الأول : يعتبرها ذات مواقف اندماجية موالية للادارة الاستعمارية .

الثاني : يعتبرها ذات مواقف إصلاحية إسلامية لا علاقة لها بالعمل السياسي .

أما الثالث : فيعتبرها ذات مواقف وطنية ثورية وبالتالي فهي الممهدة لانطلاق الثورة الجزائرية .

انطلاقاً من هذا الاختلاف حول الاتجاه والمواقف السياسية لجمعية العلماء تقرر دراسة المواقف السياسية لجمعية العلماء في الفترة الممتدة من 1931 الى 1939م من خلال صفحتها .

2 - أسباب اختيار الموضوع :

أ - ما دفع الدراسة للبحث عن حقيقة مواقف الجمعية حيث تضاربت الآراء واختلف المؤرخون ، وضاع تاريخ الجمعية .

- ب - التشويه الموجود في تاريخ الجزائر بصفة عامة والحركة الوطنية بصفة خاصة لاسيما اذا عرفنا أن تاريخنا مدون من طرف مورخين فرنسيين كان هدفهم الوحيد خدمة الاستعمار .
- ج - قلة الدراسات عن الجمعية من طرف الجزائريين والفرنسيين على حد سوى ، فالفرنسيين دراستهم كانت سطحية وغير موضوعية ، أما الدراسات الجزائرية فاهتمت بالعمل الديني والثقافي واهمل العمل السياسي للجمعية .
- د - أهمية الجمعية والدور الذي لعبته خلال فترة الثلاثينات باحيائها للتاريخ الجزائري في محاولة لإستنهاض الأمة الجزائرية عند تذكيرها بأجدادها واحياء دينها وتراثها الثقافي .

3 - أهداف الدراسة :

- 1 - تهدف هذه الدراسة الى دراسة فترة من تاريخ الحركة الوطنية التي تعتبر نقطة الانطلاق لتحقيق الاستقلال الوطني صاحبها تحول جذري في عقلية الشعب الجزائري ، وكشف المغالطات التي ترتكب في حق الحركة الوطنية بسبب التشويه الموجود في تاريخ الجزائر .
- 2 - إظهار المواقف الحقيقية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سواء مع فرنسا أو مع الحركة الوطنية ثم الحكم على دورها وتوضيح مواقفها وتصنيفها مع التيار الملائم لأفكارها .

4 - صعوبة البحث :

- 1 - من أهم الصعوبات قلة المراجع خصوصاً المتعلقة بالنشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فعظم الكتب تناولت الجمعية بالدراسة من جانبيها الديني والثقافي فقط واهملت الجانب السياسي .
- 2 - صعوبة التفريق بين ما قاله أعضاء الجمعية كأفراد يتحملون مسؤوليتهم الشخصية وبين ما يذكرونه باسم الجمعية وتكون هي المسؤولة عليه .
- 3 - قلة الوثائق حول الجمعية خصوصاً المتعلقة بموضوع البحث والموجودة منها مخفية ولسنا ندري سبب ذلك ، وكل ما وجدناه إلا بعض التقارير السرية الفرنسية والوثائق المعروفة حتى الآن استغلت لقلب الحقائق وتبرير الأعمال والمواقف .
- 4 - صعوبة الكتابة حول تاريخ الجزائر لأنه تعرض الى تشويهات وشخصياته الى هزات ومفاهيمه تغيرت جذرياً وهنا تتمثل الصعوبة .

5 - علاقة الموضوع بالإعلام :

- حاولت أن يكون للدراسة جانب إعلامي فربطت دراسة المواقف السياسية للجمعية من خلال صحفها باعتبار أن صحف الجمعية هي صحف رأي تعبر عن مواقف الجمعية وكل ما يصدر

على صفحاتها لابد أن يوافق مبادئها ، ونشير الى أن الجمعية أصدرت خلال الفترة المدروسة 4 صحف هي :

السنة النبوية ، الشريعة المحمدية ، الصراط السوي ، ثم جريدة البصائر . وكان اعتادي على جريدة البصائر أكثر نظراً لكون الصحف الثلاثة الأولى لم تعمر طويلاً ولم يصدر منها سوى أعداد قليلة غير كافية بالاضافة الى كون صفحاتها خالية تقريباً من المقالات والمواضيع السياسية ، أما جريدة البصائر التي صدر منها 190 عدد في سلسلتها الأولى التي دامت 4 سنوات ، بالاضافة الى كون صفحاتها تحتوي على مقالات سياسية تعبر عن المواقف السياسية للجمعية وآرائها .

الدراسة السابقة :

أ - باللغة العربية :

1 - أبو الصفصاف عبد الكريم : جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931 - 1945 دراسة تاريخية مقارنة . رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر بمعهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة سنة 1983 م .

الشيء الذي يمكن تسجيله بالنسبة لهذه الدراسة أن صاحبها كان عاطفياً مع جمعية العلماء وابتعد عن الموضوعية المطلوبة في مثل هذه الدراسات حيث انطلق الباحث في دافع ذاتي محاولاً تبرير كل الأعمال التي قامت بها .

2 - ابراهيم محديد : الحركة الجزائرية في الغرب الجزائري في الثلاثينات النهضة والكفاحات رسالة ماجستير تناول فيها الباحث بالدراسة الحركة الوطنية بصفة عامة في المنطقة الوهرانية ، وكانت الدراسة تكون هامة لو اعتمد الباحث على منهجية علمية في بحثه لكن اعتاده على التقارير السرية للشرطة بصفة كلية جعل البحث لم يأت مجديداً .

3 - دلال عبد الغني : القومية العربية من خلال جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفترة 1931 - 1939 . رسالة الدراسات المعمقة في التاريخ المعاصر بمعهد العلوم الاجتماعية قسم التاريخ جامعة الجزائر سنة 1981 .

حاولت الباحثة ابراز مفهوم القومية في الجزائر من خلال جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، لكن الباحثة حاولت تبرير العمل السياسي للجمعية ومواقفها اتجاه فرنسا بالظروف المحيطة بها التي كانت سائدة في تلك الفترة .

4 - محمد القورصو : الحركة الاصلاحية الجزائرية ، تأسيس ونشاط جمعية علماء المسلمين الجزائريين في عمالة وهران 1931 - 1935 . رسالة للدراسات المعمقة في التاريخ بمعهد العلوم الاجتماعية بجامعة وهران سنة 1977 .

حاول الباحث أن يدرس القاعدة الاجتماعية للإصلاحيين في عمالة وهران والدور الذي لعبه أنصار الإصلاح في هذه المنطقة ، ثم تطرق للقاعدة الاجتماعية لنشاط العلماء . لكن امتداد الدراسة على فترة قصيرة وانحصارها في المنطقة الوهرانية فقط جعل أهميتها نقل ونتائجها لا تكون علمية .

ب - باللغة الفرنسية :

1 - عبد الرحمن شيران : الاشكال والقوات المبدعة للإسلام بالجزائر 1900 - 1954 التحليل السوسولوجي للثقافة الأصلية والتقليدية . أطروحة دكتوراه دولة كانت هذه الأطروحة عمل شامل غنية بالمعلومات وقدمت بمنهجية بسيطة وعلمية .

2 - محمد القورصو : السياسة والدين في الجزائر ، الإصلاح : هياكله ، ورجاله ، حالة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في وهران سنة 1931 - 1945 . رسالة ماجستير في التاريخ قدمها بجامعة باريس الدائرة السابعة سنة 1989 م .

حاول الباحث دراسة هياكل ورجال الإصلاح في منطقة وهران واختار جمعية العلماء كنموذج ، وهذه الدراسة كانت بمنهجية علمية مقيدة للباحث في التاريخ .

الفصل الأول :

جاء تحت عنوان الأوضاع العامة ما بين الحريين وقسمته الى خمسة مباحث بينت من خلالها أن الشعب الجزائري تعرض في فترة ما بين الحريين الى أبشع أنواع التجهيل والتفكير والتشريد والتجويع ، ففي الجانب الديني تعرضت المساجد الى أبشع أنواع التدنيس حيث حولت في معظمها الى غير وظيفتها الأصلية ، أو هدمت بحجج واهية والبقية القليلة التي نجت عنت فيها الادارة الفرنسية أئمة من أشباه المثقفين برهنوا في عدة مرات على عمالتهم لفرنسا الأمر الذي جعل الدين الإسلامي يتحول الى مجموعة معتقدات خرافية ، كما قامت الادارة بالاستيلاء على ممتلكات الأوقاف الإسلامية وسلمتها للجمعيات التبشيرية التي انتقلت من فرنسا الى الجزائر لتبث سمومها في أوساط الشعب وتحارب الدين الإسلامي في عقرداره ، فانتشرت هذه الجمعيات في معظم المناطق بفضل المساعدات التي كانت تقدم لها من طرف الادارة ، بالإضافة الى الدور السلبي الذي أصبحت تقوم به الزوايا الجزائرية ، فبينما كانت في منتصف القرن التاسع عشر معقلاً للجهاد تغيرت فيما بعد لتتحول الى وكر للفساد والشعوذة وإلصاق الخرافات بالدين .

وفي الجانب الثقافي حاربت الادارة الفرنسية اللغة العربية ورسمت اللغة الفرنسية في مكانها ، فمنعت العمل بها في الادارات العمومية واعتبرتها لغة حية في الجامعات ولغة ثانوية في مراحل التعليم الآخر ، وذهبت الى أبعد من ذلك من حيث منعت سكان القبائل من التعامل والتكلم بها ، وانتشرت الأمية في وسط الجزائريين بسبب السياسة التجهيلية التي اتبعتها الادارة

الفرنسية بحيث جعلت التعليم اجباري لأبناء الفرنسيين واختياري للأهالي ثم عزوف الجزائريين عن تدريس أطفالهم في المدارس الفرنسية . أما الصحافة الأهلية فقد تعرضت الى مضايقات الادارة التي كانت تصدر أي جريدة تتبنى مطالب الشعب الجزائري ، وان سجلنا انتعاش الحياة الثقافية في هذه الفترة فهذا يعود الى الجهود التي بذلها الأهالي حيث لاحظنا انتشار مراكز التعليم العربي في معظم مناطق الجزائر كما ظهرت عشرات الصحف معبرة ومدافعة عن مطالب الشعب .

في الجانب الإقتصادي شهد المجتمع الجزائري تأخراً مقارنة مع ما قبل الاستعمار . فلاحظنا إصرار الاستعمار على ترك المجتمع الجزائري مجتاعاً زراعياً ، فلم يبن سوى المصانع التي تخدم اقتصاده مثل مصانع إنتاج الخور ويرجع ذلك الى كون الادارة الفرنسية كانت تريد جعل الجزائر سوق استهلاكية للسلع الفرنسية ثم استغلال الأيدي العاملة الجزائرية في الزراعة بأجس الأثمان . وحتى الإنتاج الزراعي عرف تراجعاً حيث أصبحت الجزائر تستورد القمح بعد أن كانت تلقب بمطمورة القمح هذا بسبب السياسة التي وجهت الفلاحة لما يخدم مصلحة اقتصادها فبدل زراعة الحبوب قامت بغرس الكروم لإنتاج الخمر في كل السهول الخصبة التي انتزعت من الأهالي بالقوة ، فتعرض الشعب في هذه الفترة الى المجاعة والفقر بسبب طرده الى الجبال القاحلة وكذا الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929م وعرف الجانب الاجتماعي تدهوراً ملحوظاً حيث انتشرت الأمراض والأمية والفقر في أوساط الشعب ، وقد حاولت الادارة الاستعمارية اثارت النزاعات القبلية والعرقية بين سكان الجزائر وذلك في محاولة لتقسيم المجتمع حتى تسهل لها السيطرة عليه فاعتبرت الأمازيغ ليسوا من أصل جزائري ، ثم أثارت قضية المذاهب الدينية في الجزائر ، وعرف المجتمع الجزائري في هذه الفترة هجرة كبيرة من الجزائر نحو فرنسا وان كانت الادارة الأهلية تتحكم فيها فهي تشجع الأهالي للهجرة لفرنسا عند الحاجة إليهم وتصنع القوانين المعرقلة عند احتجاج الكولون على ذلك .

أما بالنسبة للناحية السياسية فقد شهدت هذه الفترة ظهور عدة أحزاب وجمعيات ومنظمات جزائرية تبنت مطالب الأهالي وهي حركة الأمير خالد ، فيدرالية نواب مسلمي الجزائر ، نجم الشمال الافريقي حزب الشعب ، الحزب الشيوعي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد ساهمت هذه الجمعيات والأحزاب في توعية الشعب بوضعيته وبنيت الروح الوطنية في نفسية المواطنين .

الفصل الثاني :

وكان تحت عنوان جمعية العلماء ، تأسيسها ، غايتها ، أهدافها . وقد قسم الى ثلاث مباحث ، تناولت في المبحث الأول العوامل التي ساعدت على ظهور الحركة الإصلاحية بصفة

عامة وجمعية العلماء بصفة خاصة ، فكان للعلماء الذين عاشوا قبل الحرب العالمية دوراً فعالاً بفضل الأفكار الإصلاحية التي كان ينشرونها ومنهم عمر بن قذور ، وابن شنب وابن سماية ، ثم الحركة العلمية التي بدأت تظهر بعد عودة العلماء الجزائريين الذين كانوا يدرسون في المشرق والمغرب العربيين بالإضافة الى مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى وتأثرهم بالدعائتين الألمانية والعثمانية ، وكذلك الدور الذي لعبه بعض القادة الوطنيين بعد الحرب العالمية الأولى مثل الأمير خالد .

كل هذه العوامل ساعدت على بروز فكرة الجمعية والتخطيط لإنشائها مع بداية الحرب العالمية الأولى لتظهر الى الوجود رسمياً في 05 ماي 1931م ويوضع قانونها الداخلي وينتخب مجلسها الاداري ، ويعين ابن باديس كرئيس لها غيايياً .

وفي المبحث الثاني تناولت أهداف الجمعية التي وضعتها الفصل الرابع من قانونها الأساسي ، وحددها في محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه الشرع ، وينكره العقل أما دعوتها فانطلقت من كتاب الله وسنة رسوله ، وجعلت مبادئ الإسلام السمحة منهاجاً للوصول الى أهدافها التي سطرته ، واختارت الجمعية عدة وسائل لتبليغ دعوتها منها ، المساجد ، النوادي ، والمدارس ، الصحف حيث أصدرت الجمعية 04 صحف كانت منبر للتعبير عن أفكارها وتبليغ دعوتها وارشاد الأهالي الى الطريق القويم لكن الادارة الاستعمارية كانت لها بالمرصاد فعملتها الواحدة تلوى الأخرى لمجرد أنها تتبنى مطالب الأهالي وتحاول الدفاع عنهم .

لقد رحبت في البداية الادارة الفرنسية بتأسيس الجمعية ففنتحتها الإعتماد في مدة 15 يوم وذلك في محاولة لتدجينها ونفس رد الفعل سجلناه لدى شيوخ الزوايا ورجال الطرق الذين ساهموا في تأسيسها وكان البعض منهم ضمن مجلسها الاداري الأول .

وتناولت في المبحث الثالث الأزمات والعراقيل التي تعرضت لها الجمعية فكان الصراع الذي حدث في الاجتماع العام الأول للجمعية 1932م بين عمر اسماعيل وجماعته من جهة والعلماء المصلحين بقيادة عبد الحميد بن باديس من جهة أخرى تأثير كبير على العلاقات بين رجال الطرق والجمعية وكادت هذه الأزمة ان تعصف بكيانها ، وتعرضت الجمعية الى أزمة ثانية في منتصف الثلاثينات بعد مقتل الإمام كحول بن دالي واعتقال الشيخ الطيب العقبي وعباس التركي وإصاق تهمة القتل بها واعتبرت الجمعية هذه التهمة مساساً بها ، وكانت هذه الضربة قوية حيث زعزعت بنیان الجمعية وحدثت تصدع في صفوف المؤتمر الإسلامي حيث انسحب منه الدكتور ابن جلول . أما الأزمة الثالثة فتعرف بقضية البرقية التي اتقسم حولها المجلس الاداري بين مؤيد الى ارسال البرقية التي تؤيد فرنسا في حربها ضد الألمان وكان من بينهم العقبي والعمودي وبين معارض للفكرة من الأساس وكان هذا الاتجاه بزعامة ابن باديس والابراهيمي

فرفضوا ارسال البرقية الأمر الذي جعل العقبي يقرر الاستقالة من المجلس في حالة اعادة انتخابه ، فاستقال وإعاد اصدار جريدته الاصلاح ليتهاجم فيها على الجمعية وقادتها . ولم تكتف الادارة الفرنسية بهذا بل حاولت القضاء على الجمعية فأصدرت القرار تلو الآخر لعرقله عملها ، فنعت العلماء من فتح مدارس جديدة إلا بالرخصة ومنعتهم من التدريس في المساجد الحكومية ، وعطلت جرائدهم وسجنت الكثير من أتباعهم لكنها لم تصل الى هدفها نظراً لحنكة العلماء .

الفصل الثالث :

وكان تحت عنوان النشاط السياسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقد قسمته الى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول نظرة العلماء للسياسة ومدى تأثرهم بأفكار محمد عبده السياسية حيث اتضح أنهم اختلفوا في مفهومهم للسياسة فاهتوا بالجانب الإيجابي عكس محمد عبده الذي يركز على الجانب السلبي أما من ناحية التطبيق فقد تأثر وفعل بأفكاره وطبقوا النصيحة التي قدمها لعلمائنا بمناسبة زيارته للجزائر في 1903م حيث نصحهم بمسألة الحكومة وعدم الوقوف في طريقها .

ولكي تؤكد الجمعية على عملها السياسي دعت الى عقد المؤتمر الإسلامي الجزائري وشارك قادتها في الاجتماعات التحضيرية التي كانت تهدف لشرح أهداف المؤتمر ثم شاركت أعماله ووافقت على مطالبه الاندماجية وسافر عبد الحميد بن باديس والابراهيمي والعقبي مع الوفد الذي سافر الى باريس للدفاع عن مطالب المؤتمر الإسلامي أمام مسؤولي الحكومة الفرنسية ثم شاركوا في المؤتمر الثاني الذي انعقد في 1937م وتبنت صحيفة الجمعية هذا المؤتمر ودافعت عنه .

أما المبحث الثاني فخصصته لعلاقة الجمعية بالحركات الوطنية الأخرى التي كانت موجودة في هذه الفترة فتحالفت الجمعية مع فيدرالية نواب مسلمي الجزائر رغم اتجاههم الاندماجي وأيدت مرشحها في الانتخابات ضد مرشحي الأحزاب الوطنية . كما طغى على علاقة الجمعية بالحزب الشيوعي الطابع التعاوني رغم الاختلاف الواضح في المبادئ والأفكار التي تعتمد عليها كل فئة وخاضت الجمعية صراع مرير مع رجال الطرق وشيوخ الزوايا بسبب الاختلاف حول المبادئ والمنظمات حيث كان الطريقيون يعتبرون أنفسهم المدافعين عن السنة رغم الخرافات والبدع التي ألحقوها بالدين الإسلامي ولما تبنت الجمعية فكرة احياء السنة ومحاربة الخرافات والبدع وقف في طريقها الطريقون .

واتسعت علاقة الجمعية بنجم شمال افريقيا بطابع الصراع منذ تأسيس الجمعية الى غاية حل النجم وهذا راجع للاختلاف في المبادئ والمنطلقات بين القادتين أما بالنسبة لحزب الشعب فانه رغم التغير الذي طرأ على مبادئه وشعاراته وتأسيسه في الوطن فان طابع الصراع بقي مسيطراً على علاقته بالجمعية .

وفي المبحث الثالث تناولت موقف الجمعية من الادارة الفرنسية حيث بقيت الجمعية مسالمة للحكومة رغم القرارات والعراقيل التي وضعت في طريقها فالمتتبع لبيانات المجلس الاداري لا يجد فيها سوى التعبير عن ثقة الجمعية بالحكومة الفرنسية وادارة الشؤون الأهلية في الجزائر والمطالبة بإعطاء نفس الحقوق للفرنسيين للسكان الجزائريين ، بالإضافة الى الاحتجاج والتنديد بالمضايقات التي كان يتعرض لها أفرادها . لكن الجمعية بدأت تغير مواقفها مع نهاية السنة 1937م بعد أن تأكدت ان الادارة الفرنسية مهما سالتها الجمعية ومهما سارت في خطها فهي لن تقلل من تعسفها ، لذلك بدأت مواقف الجمعية تتحسن تدريجياً فأصدرت فتوى صريحة في تحريم التجنس واعتبار المتجنس مرتدأ ثم رفضوا ارسال برقية التأييد لفرنسا في حربها ضد الألمان وهذه المواقف تسجل لصالحهم .

الخاتمة :

بعد الإطلاع على صحف الجمعية ودراستها في الفترة المدروسة ، وما احتوته من مقالات وبيانات اتضح نشاط الجمعية بصفة عامة ومواقفها السياسية إتجاه الإدارة الفرنسية والجمعيات والأحزاب السياسية في الجزائر بصفة خاصة ، تمكنت من الوصول الى عدة إستنتاجات تبين مواقف الجمعية هي :

1 - لقد خاضت الجمعية في الميدان السياسي منذ نشأتها بطريقة غير مباشرة بواسطة الإحتجاجات والبيانات التي كانت تصدرها لكن إبتداء من 1936 دخلت هذا الميدان بطريقة مباشرة وعلانية رغم كونها ليست حزباً سياسياً ، ورغم الفصل الثالث من قانونها الأساسي الذي يمنع عليها الخوض في الأعمال السياسية ، ومحاوله قادتها نفي هذا العمل عنها خوفاً من المضايقات التي قد تتعرض لها من طرف الإدارة الفرنسية .

2 - ظهر قادة الجمعية غير متأثرين بنظرة محمد عبده للسياسة ، فكانت نظرهم للسياسة أكثر واقعية وعلمية ، فبينما كان محمد عبده ينبذ السياسة ويكره السياسيين حيث يقول : «إن شئت أن تقول أن السياسة تضطهد الفكر أو العلم أو الدين فأنا معك من الشاهدين . أعوذ بالله من السياسة ولفظ السياسة ، ومن معنى السياسة ، ومن كل أرض فيها السياسة ومن كل شخص يتكلم أو يتعلم أو يحن أو يعقل في السياسة ومن ساس وسوس وساس ومسوس ..»⁽¹⁾ .

نجد على العكس من ذلك كان العلماء يعتبرون السياسة وسيلة من وسائل خدمة الوطن فيقول الإبراهيمي : «ونحن نعد السياسة عملاً طبيعياً ووسيلة من وسائل خدمة الوطني لوطنه وبني جنسه»⁽²⁾ .

(1) محمد قناش : المواقف الإصلاحية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة ، مرجع سابق ص 53 .

(2) إبراهيم لونيسي : ح.ع.م.ج. هل كانت لائكية ، جريدة المساء العدد 29/1733 أفريل 1991 ، ص 6 .

3 - تؤكد مشاركة العلماء في المؤتمر الإسلامي كممثلين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وليس كممثلين لأنفسهم حسب ما يريد أن يؤكد بعض أنصار الجمعية ، لقد إنطلقت الدعوة من رئاسة الجمعية بإسم عبد الحميد بن باديس . وشاركت في الاجتماعات التحضيرية وفي الاجتماع العام الذي إنعقد في قاعة الماجستيك يوم 7 جوان 1936 ، وكان العلماء أعضاء في اللجنة التنفيذية وفي الوفد الذي سافر الى باريس لتقديم مطالب المؤتمر للحكومة الفرنسية ، وكانت الجمعية ممثلة بالأستاذ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والأستاذ الطيب العقبي ، ولقد أعلن المجلس الإداري للجمعية صراحة مشاركتها في المؤتمر الإسلامي في البرقية التي بعثها الى وزير الداخلية ورئيس الوزراء وفيوليت وزير الحكومة بعد الاجتماع العام الذي إنعقد في 19 ديسمبر 1936م وجاء في هذه البرقية «... والمجلس الإداري يعلن بإسمها (جمعية العلماء) بصراحة تسكه بطالب المؤتمر الإسلامي الجزائري الذي شاركت فيه وفي وفده»⁽³⁾ .

4 - رغم التبريرات التي قدمها العلماء حول الهدف من مشاركة الجمعية في المؤتمر الإسلامي لحفاظ على الشخصية الوطنية ، والدفاع عن المطالب الدينية واللغة العربية ، فإن جمعية العلماء بموافقتها على المطالب الإندماجية مع المؤتمرين تكون قد إرتكبت خطأ لا يغفر لأنها وافقت على مطالب إندماجية في مجملها تطلب إلحاق الجزائر بفرنسا بل وذهب العلماء الى أبعد من ذلك حيث سافروا الى باريس مع الوفد ليدافعوا عن هذه المطالب ويطالبوا الحكومة الفرنسية بتحقيقها ، كان الأجدر من الجمعية أن لا تتبناها وتعلن صراحة وقوفها ضد المطالب السياسية على الأقل .

5 - طغى على علاقة الجمعية بالحزب الشيوعي طابع التعاون وإن تميزت بالتذبذب وعدم الإستقرار وربطت بينهما المصلحة فالجمعية كانت تستنجد بالحزب الشيوعي وتطالبه بتبني مطالبها أو الدفاع عنها وذلك ما حدث في سنة 1933 بعد صدور قرار ميشال ضد الجمعية الذي ضيق الخناق عليها ، فوقف الحزب الشيوعي ضد هذا القرار مندداً به في اجتماعاته العمومية وعلى صفحات جريدته الكفاح الإجتاعي ، مطالباً بحرية الجمعية في القيام بعملها ، فوطدت علاقتها أكثر مع بروز مشروع فيوليت وتأييد الحزب الشيوعي وترحيب الجمعية به ، ثم مشاركة الإثنان في المؤتمر الإسلامي الذي إنعقد في سنة 1936 ويعود تعاون الجمعية مع الحزب الشيوعي نظراً لكونه طرفاً في حكومة الجبهة الشعبية . وقد عبرت مجلة الشهاب على ذلك : «إن رجال الشيوعية الفرنسية يستحقون الشكر والتقدير على ما يبدو من عطف على ضعفنا ومقاومة الظالمين لنا»⁽⁴⁾ لكن هذه المودة لم تدم طويلاً لأن الجمعية غيرت نظرتها مع نهاية 1937 للجبهة الشعبية لأنها لم تلب مطالب المؤتمر ولكون الحزب الشيوعي تحول عن مواقفه الأولى وتحاذل في المواقف الوطنية .

(3) المجلس الإداري : جمعية.ع.م.ج. تحتج على غلاة المستعمرين ، البصائر العدد 51 - 10 جانفي 1937 ، ص 4 .

(4) مجلة الشهاب : 13 ج 9 ، نوفمبر 1937 ، ص 399 .

أما بالنسبة لعلاقة الجمعية مع نجم شمال إفريقيا فاستمرت بطابع الصراع منذ تأسيس الجمعية ويعود ذلك الى الإختلاف الواضح في المنطلقات والمبادئ وحتى التكوين الإيديولوجي والعلمي لقادتهم ، فبينما نجد النجم إعتد على المنهج الثوري مطالباً باستقلال الجزائر نجد الجمعية إعتدت أسلوب التربية والتعليم وهذا إختلاف جوهري .

أما من حيث الأهداف الأساسية للنجم فتمثلت في تحقيق الإستقلال للجزائر وذلك بإستعمال كل الوسائل بينما نجد الجمعية جددت أهدافها في نشر الدين واللغة العربية والحفاظ على الشخصية الوطنية استعملت أسلوب التربية والتعليم لمحاربة الجهل لأنهم كانوا يرون في ذلك الطريق الأنجح لتحقيق الإستقلال . وكذلك بالنسبة لتكوين قادتها فقادة الجمعية تخرجوا من المعاهد الدينية في دول المشرق العربي أما قادة النجم فنجدهم ذوي مستوى بسيط ومتأثرين بالأفكار الشيوعية ، لكن تبقى المواقف السياسية هي السبب الرئيسي لتوتر العلاقات بينها حيث نجد أن الجمعية شاركت في المؤتمر الإسلامي ووافقت على مطالبة الإندماجية بينما ندد النجم بهذا المؤتمر وقاطعه وأقام المهرجانات الشعبية لتوضيح خطر مطالب المؤتمر على الوطن بإعتبار المؤتمرين طالبوا بإلحاق الجزائر رأساً بفرنسا .

وهنا ظهر الصراع جلياً حيث اعتبر النجم قادة الجمعية ألعوبة في يد المستعمر والإنتدماجين أما العلماء فاعتبروا حزب النجم يمثل الفوضى والغوغاء ووصفوا قاداته بأنصاف المثقفين والجهال . وانتقل الصراع الى صحفهم فكانت جريدة البصائر تستهزأ بالنجميين وترد عليها جريدة الأمة بالمثل .

رغم محاولات الإصلاح التي قام بها بعض المناضلين من الطرفين إلا أن الإختلاف الكبير بينهما جعل مصير كل المحاولات الفشل وإستمر الصراع بينهما حتى حل حزب النجم .

6 - بعد حل النجم وتأسيس حزب الشعب إستمر الصراع بينه وبين الجمعية رغم التغيرات التي حدثت بداخله مقارنة مع حزب النجم حيث إنتقل قاداته للعمل داخل الوطن وتخلوا عن المبادئ الشيوعية ليتعلقوا بالمبادئ الإسلامية ، فأصبح يدافع عن الدين ويعمل على نشر اللغة العربية . وهذه هي مبادئ الجمعية . ولكن يبقى الإختلاف في كون الجمعية تحارب رجال الطرق وشيوخ الزوايا وتسالم الحكومة الفرنسية . أما حزب الشعب فكان يحارب الإستعمار بالإعتاد على كل الشعب الجزائري دون تمييز بين المصلح والأمي أو العالم والجاهل . ثم الإختلاف في طرق العمل فحزب الشعب كان يستعمل كل الوسائل حتى القوة لتحقيق إستقلال الجزائر أما الجمعية فاعتمدت على التعليم .

وهكذا استمر الصراع بينهما فكان العلماء يتهمون حزب الشعب بالبعد عن الإسلام والإلحاد وبكراهيته للثقافة والمثقفين واتهموا مصالي الحاج بمولاته للمعمرين بعد أن وقف ضد مشروع بلوم فيوليت ومطالب المؤتمر الإسلامي الإندماجية ، فكان حزب الشعب الحركة الجاهلة المتمردة

واطلقوا عليه إسم (الشاوش أو المرابطية السياسية) . وفي المقابل كان المناضلين في حزب الشعب يتهمون العلماء بإنطوائهم تحت الراية الشيوعية .

كانت هناك عدة محاولات للصلح بين الجمعية وحزب الشعب لكنها فشلت وإزداد الصراع شدة بعد وقوف العلماء الى جانب مرشح النواب في سنة 1938 وتعود صحفيهم لتبادل التهم ، رغم هذا فإنهم كانوا يجتمعون في أوقات المحن فعند إعتقال قادة حزب الشعب نددت الجمعية بهذا القرار وطالبت بإطلاق سراحهم .

7 - كانت علاقة الجمعية بالنواب متذبذبة وغير مستقرة وإن غلب عليها طابع التعاون والتحالف وهذا تبعاً للظروف السياسية فتارة كان العلماء يعتبرون النواب المدافعين عن الأمة والممثلين لها في جميع المجالس ويستجيرون بهم ضد تعسف الحكومة وتارة يعتبرونهم أبناء فرنسا الموالين للحكومة .

الشيء الغريب أن العلماء يختلفون عن النواب في المبادئ والتكوين ، فالنواب إنطلقوا من أفكار فرنسية وتأثروا بالفرنسيين وأعلنوا صراحة ولاءهم لأمتهم فرنسا وطالبوا بالإدماج الكلي للشعب الجزائري في فرنسا . رغم ذلك نجد الجمعية قد أبدت تجاوباً كبيراً معهم منذ تأسيسها الى نهاية الفترة المدروسة حيث رحبت مع النواب بمشروع «فيوليت» وأيد العلماء مرشحي النواب في الانتخابات التي كانت تجري على مستوى الوطن . فوقفوا مع ابن جلول في قسنطينة سنة 1932 ضد مرشح حزب الشعب ، وفي المقابل من ذلك كان النواب المعتدلين يقفون مع الجمعية ويؤيدونها في مطالبها وينددون بالقرارات التعسفية التي كانت تصدر ضدها ، وازداد تقرب الجمعية مع أحداث قسنطينة 1934م ليصل التعاون قته بمناسبة إنعقاد المؤتمر الإسلامي حيث كان ابن جلول رئيس المؤتمر وشارك العلماء في كل هيئاته الى جانب النواب .

شهدت الفترة التي جاءت بعد المؤتمر فتوراً بعد إعلان ابن جلول عن نيته في إقامة زردة كبيرة في ناحية قسنطينة . وإدلائه بتصريحات لجريدة مرسيليا الصباح الناطقة باللغة الفرنسية ضد الجمعية لكن فترة الجفاء لم تدم طويلاً لتعود العلاقات من جديد بمناسبة إحتفال الفرنسيين بمناسبة مرور قرن على احتلال مدينة قسنطينة ومساعدة العلماء لمرشحي النواب في إنتخابات 1938 .

هكذا رغم التباعد في الأفكار ، ووقوف المتطرفين منهم ضد الجمعية ومطالبهم بالإندماجية الصريحة نجد أن الجمعية تعاونت معهم ووقفت صد الوطنيين من حزب الشعب .

8 - إشتد الصراع بين الجمعية ورجال الطرق منذ تأسيسها وذلك نظراً للإختلاف الواضح في الأفكار والمبادئ والصراع من أجل السيطرة على الشعب ، فكان الطرفين يعتبرون أنفسهم الممثلين للدين والمحافظين عليه ، فاستغلوا جهل الشعب الجزائري وسذاجته للنيحرفوا عن الدين الصحيح ويزرعوا الضلالات والخرافات في أوساط الشعب ، فأصبحوا يستغلون الدين وفقاً

لأهوائهم وما يتاشى ومصالحهم ولما تأسست الجمعية أعلنت في مبادئها وأهدافها ، أنها تريد إحياء السنة الصحيحة ونشر الدين الصحيح وتطهيره من الخرافات والضلالات التي ألصقها بها الدجالين من أصحاب الطرق والزوايا . وهكذا اشتد الصراع بينها فكان العلماء ينعتونهم بالصوص والتجار الحاذقين ، يأكلون أموال الناس بالباطل وهم سبب كل المشاكل التي ظهرت في هذا الوطن . والقضاء عليها معناه القضاء على الباطل والضلال ، محاولة إصلاح المجتمع لأنهم السبب في تفريقه وتخديره وجهله . عكس ذلك كان الطريقون يتهمون العلماء بالإلحاد والخروج عن تقاليد وعادات الأجداد .

إشتد الصراع بينها بعد أن أسس رجال الطرق جمعية علماء السنة لتقف في وجه جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وكانت هذه الجمعية ومناضليها من الطريقين عميلة لفرنسا وقفت في معظم الأحيان وراء القرارات التي تعرضت لها الجمعية ، مثل قرار ميشال سنة 1933 ، ثم أصدرت الجمعية صفحها : السنة النبوية والصراط والشرعية لتعلنها حرباً على الطرق وتصفهم بالإستعمار ، وإستمر الصراع على أشده خلال هذه الفترة وتطور الى محاولات إغتيال تعرض لها العلماء ، وهذا رغم محاولات الإصلاح الفاشلة .

هكذا نجد أن الجمعية خصصت معظم وقتها وصفحتها لمحاربة الطرق وتجاهلت العدو الأساسي وهو الإستعمار الفرنسي الذي كان من المفروض أن يكون العدو الأول .

9 - كانت الجمعية مسالمة للحكومة الفرنسية ميالة الى التعامل معها رغم الصعوبات والعراقيل التي وضعت في طريقها فإن الجمعية ظلت متمسكة بفرنسا مستجيبة لها . تعلن عن ولائها وثقتها في اجتماعاتها العامة وارتباطها بفرنسا . فكانت في كل اجتماع تجدد ثقتها بالحكومة الفرنسية وترحب بكل حاكم عام جديد يصل الى الجزائر وذهب عبد الحميد بن باديس الى أبعد من ذلك فكان أول من يزوره عندما يصل الى أي مدينة من مدن الجزائر هو «المير رئيس البلدية» ثم ينتقل الى المسجد ، وحتى في الظروف الصعبة التي تفرض على الجمعية الإحتجاج والتنديد بقرارات معارضة للإدارة الفرنسية . كانت تنديداتهم لكون فرنسا لم تطبق القانون ولم تحقق المساواة التي طالما طالبوا بها فقط وليس لأنها استعمرت الجزائر واحتلت أرضنا .

ويصرون على أنهم لا يريدون من فرنسا إلا تطبيق القانون وتحقيق العدالة والمساواة فمن خلال تتبعنا لتصريحات المجلس الإداري للجمعية وما يكتبه العلماء في جرائد الجمعية يتضح أن خوض العلماء في السياسة كان من جانبه السلبي بحيث لم نجد رد فعل قوي من طرفها بل على العكس من ذلك لاحظنا نوعاً من التلق لفرنسا ومحاولة العمل في إطار القوانين دون إثارة السلطات الفرنسية والموقف الوحيد الذي يسجل لصالح الجمعية وعبر فيه المجلس الإداري بصراحة وعلانية عن موقفه ضد الإدارة الفرنسية هو رفضه كتابة برقية التأييد للحكومة الفرنسية في حربها ضد دول المحور مع بداية الحرب العالمية الثانية .

وحق كتابات العلماء الإنفرادية كانت تصب في هذا الإطار فطالبوا بإرتباط الجزائر بفرنسا علانية وطالبوا بالمساواة واعتبروا فرنسا أهمهم .

لقد حاول بعض أنصار الجمعية تبرير هذه المواقف واعتبارها للتويه لأن الأهداف الحقيقية لم تظهر لكن هذه التبريرات وهذه الفكرة تبقى في حاجة الى برهان خصوصاً وأن عبد الحميد بن باديس يقول ظاهر الجمعية كباطنها وليس هناك أشياء تخفيها .

10 - الموقف الذي يسجل للجمعية هو موقفها من قضية التجنس حيث رفضت إنسلاخ المسلم الجزائري من أحواله الشخصية مقابل حصوله على الجنسية الفرنسية فتحتفظت على مشروع فيوليت نظراً لإحتوائه على قضية الجنسية ، وتطورت الأوضاع وتشدد موقف الجمعية من هذه المشكلة فأصدرت فتوى صريحة تعتبر المتجنس كافراً ومرتداً عن الدين الإسلامي ولا تقبل توبته إلا اذا رجع الى الشريعة الإسلامية ومفارقة البلاد التي يطبق فيها القانون الفرنسي الى بلاد أخرى تطبق الشريعة الإسلامية .

- من خلال هذه المواقف بالنسبة للجمعية يمكن أن نخلص الى نتيجة أساسية وهي أن الجمعية كانت ذات إتجاه سياسي إندماجي وهذا ما يتضح من خلال مواقفها من الحركة الوطنية والإدارة الفرنسية وبعض المشاريع الإندماجية .

حيث لاحظنا أنها كانت في صراع مع الأحزاب الوطنية المناهية بإستقلال الجزائر مثل حزب النجم وحزب الشعب وفي المقابل من ذلك وقفت مؤيدة ومتعاونة مع الإتجاهات الإندماجية ووافقت على المطالب التي رفعها هذا الاتجاه وكانت الجمعية مسالمة للإدارة الفرنسية بحيث رغم العراقيل التي وضعت في طريقها ومحاولة فرنسا القضاء عليها إلا أن قادة الجمعية كانوا يردون على ذلك بتقريبهم من الإدارة ويجددون ثقتهم فيها من خلال ما كانوا يكتبونه في جرائدها هذا بالإضافة الى أن الجمعية لعبت دوراً فعالاً في المؤتمر الإسلامي الذي طالب بإلحاق الجزائر بفرنسا واعتبارها قطعة ترابية منها ورحبت بمشروع فيوليت ، ولم نجد في كل صفحتها اي نداء يطالب بالإستقلال الجزائر بل كانت تنادي بتطبيق القانون وتحقيق المساواة والعدل فقط .

لكن هذا الإتجاه بدأ يميل الى التغيير مع نهاية سنة 1937 حيث بدأت الجمعية تغير مواقفها إتجاه الإدارة الفرنسية بعد أن تيقنت أن هذه الأخيرة لن تغير مواقفها مهما تعاونت معها الجمعية ، فأصدرت فتواها في التجنس التي كانت ضربة قاسية للتيار الإندماجي ، ثم رفضت تأييد الحكومة الفرنسية في حربها مع دول المحور ، وشددت لهجتها إتجاه الإدارة وقراراتها .